



هل تعلم عزيزي القارئ أن كل «القوميين» الذين كانوا يتربدون على قصور الرئيس الراحل صدام حسين بوصفه قائداً عربياً قومياً، أصبحوا الآن في حضن الإيرانيين الذين أعدموا «القائد القومي» صدام حسين في يوم عيد الأضحى المبارك؟ يبدو ذلك نكتة صارخة فعلاً لكنها الحقيقة. دلعني على «قومي» أو «ناصرجي» أو «يسارجي» عربي واحد من الذين كانوا يدافعون عن نظام صدام حسين، ويقبضون منه، لا يقبض، ولا ينضوي الآن تحت عباءة الفرس المعروفين تاريخياً بعدائهم الشديد للعرب والعروبة.

ربما نجد بضعة قوميين عرب حقيقين يُعدون على الأصابع حافظوا على مواقفهم القومية الحقيقة، ورفضوا أن يكونوا مجرد سمسارة ومرتزقة للمشروع الإيراني. لكن السواد الأعظم من يسمون بـ«القوميين والناصرجين واليسارجين» العرب أصبحوا على عينك يا تاجر حلفاء معلنين لإيران التي حاربت «حبيبه» السابق صدام حسين لثمان سنوات طوال، لأن صدام كان، بالنسبة للفرس، رمزاً قومياً عربياً حقيقياً خطيراً، على عكس نظيره البعثي السوري الذي تحالفت معه إيران استراتيجياً.

ولم تكتف إيران بمحاربة المشروع القومي العربي الذي كان يقوده صدام حسين، بل نسقت مع الأمريكان لغزو العراق حسبيما جاء في كتاب أمريكي جديد. ويكشف سفير أمريكا السابق في العراق خليل زاده في الكتاب أن كبار المسؤولين الأمريكان أجروا – قبيل الغزو الذي أطاح بحكم صدام حسين – محادثات سرية مع إيران تناولت مستقبل العراق، ونحوها في انتزاع تعهد من الجيش الإيراني بعدم إطلاق النار على الطائرات الحربية الأمريكية التي قد تضل مسارها، وتدخل المجال الجوي الإيراني. واستمرت تلك المحادثات – التي لم يُكشف النقاب عنها من قبل، وعُقدت في جنيف مع محمد جواد ظريف مندوب إيران لدى الأمم المتحدة آنذاك، وزير خارجيتها حالياً – حتى بعد استيلاء القوات الأمريكية على بغداد في أبريل/نيسان 2003.

وقال زلماي خليل زاده، في كتاب بعنوان «المبعوث» سينشر الشهر الجاري: «كنا نريد التزاماً من إيران بأنها لن تطلق نيران مدفعها صوب الطائرات الأمريكية التي تحلق من غير قصد فوق الأراضي الإيرانية». وأضاف بأن «ظريف الإيراني وافق على ذلك. وكنا نأمل من إيران أن تحت الشيعة العراقيين على عدم مواجهة الأمريكان، وهذا ما فعلته»، مشيراً إلى أن زعماء الشيعة العراقيين البارزين من كانوا يناصبون صدام حسين العداء، كانوا أدوات في أيدي إيران. ولا ننسى ما قاله نائب الرئيس الإيراني الأسبق علي أبطحي حينها: «لولا إيران لم تتمكن أمريكا من الوصول إلى بغداد».

ماذا يقول السمسارة القوميون بعد أن يطلعوا على مكونات الكتاب الأمريكي الجديد وما يحتويه من أسرار تفشير لها الأبدان حول التآمر الإيراني الأمريكي على حبيبهم السابق صدام حسين ونظامه القومي؟ يا الله كم أصبحت كلمات «قومي» و«عربي» بذئنة وساقطة وقذرة عندما ننظر إلى من كانوا يتشفقون بها على مدى عقود.

وكما يقول المثل: «الثلم الأعوج من الثور الكبير»، فالنظام القومي الشهير نظام آل الأسد ضحك على السوريين والعرب بشعارات العروبة والقومية لعقود، ثم اكتشفنا الآن أن مهمته الأساسية حماية إسرائيل العدو الأول للعرب. ولا شك أن نظام

البعث السوري كان قد سبق جميع القوميين والناصريين والعربيين الحاليين إلى أحضان إيران، فقد رفع حافظ الأسد شعارات العروبة والقومية والوحدة العربية، بينما كان يناصر إيران جهاراً في حربها ضد الشقيق العراقي.

وعندما جمعت أمريكا ثلاثين دولة ضد العراق كان حافظ الأسد أول المرحبيين. لا بل أرسل قوات سورية ضخمة لقتال القوات العراقية، مع العلم أنه لو لا القوات العراقية في حرب تشرين عام 1973 لسقطت دمشق خلال ساعات أمام الدبابات الإسرائيلية.

وإذا أردت أن تعرف مدى سفاله ونذالة وعماطلة وخيانة القوميين والناصريين واليساريين العرب هذه الأيام انظر فقط كيف يرتمون في أحضان إيران، ويعادون دول الخليج العربية على رؤوس الأشهاد. أليس من المفترض أنها العرب تقروا مع أبناء جلتكم العرب حتى لو كنتم على خلاف معهم، بدل الانضواء تحت العباءة الإيرانية التي تعادي العرب والعروبة، أنها الأنذال الساقطون؟ ألم تصدعوا رؤوسنا على مدى عقود بالتضامن العربي، ورفعتم شعار: انصر أخاك العربي ظالماً أو مظلوماً؟ ألم طالبوا بنصرة القضايا العربية ضد أي جهة غير عربية؟ فلماذا الآن تسخرون أقلامكم وحناجركم للدفاع عن الاستعمار الإيراني للمنطقة العربية؟ هل ترضون عندما تسمعون إيران وهي تقول إنها بانت تسيطر على أربع عواصم عربية: بغداد، ودمشق، وصنعاء، وبيروت؟ لماذا لم تدينوا هذه التصريحات الاستعمارية الإيرانية التي تدق إسفيناً في قلب العرب والعروبة؟ أين شعاراتكم القومية القديمة؟ ألم تقولوا لنا دائماً: العرب أولئك؟ فلماذا الآن تصفتون مع الأبواب الإيرانية ضد دول الخليج؟

لفترض أن لكم خلافات مع السعودية أو غيرها، لكن هل يعني ذلك أن تحالفوا مع العدو الصفيوني ضد أشقاءكم العرب. قال قوميين قال.

شكراً للثورات التي فضحت هؤلاء المرتزقة القوميين، وأظهرتهم على حقيقتهم، فهم لا يقلون خطورة على العرب عن الصهيونية والصفيونية. ولا ننسى كيف نادوا بالثورات الشعبية ضد الطغاة، وعندما ثارت الشعوب ضد الطواغيت وقفوا بحقاره عز نظيرها ضد الشعوب الثائرة، تحت حجج المؤامرة المموجة التي انفضحت كما انفضحت كل الوجوه القومية القبيحة الحقيرة.

القدس العربي

المصادر: